

بنية نهج البلاغة: الخطاب والخطابة عند أمير المؤمنين عليه السلام

### أولاً: تعريف الخطبة في نهج البلاغة

**الخطبة لغة:** مشتقة من المُخاطبة، أو من "الخَطْب" وهو الأمر العظيم.

**الخطبة اصطلاحاً:** هي "كلام يُوجَّه إلى الجماهير في مناسبة من المناسبات، يراد به الإقناع والتأثير، والوعظ والإرشاد". وقد عرّفها علماء البلاغة بأنها "فن أدبي يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأياً من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي".

وفي سياق نهج البلاغة، يمكن تعريف الخطبة بأنها: الكلام الجامع بين قوة المعاني ورسالة الحجج، وجزالة الألفاظ وسحر البيان، الذي كان يلقيه الإمام علي عليه السلام في المناسبات المختلفة؛ دينياً كان أم سياسياً أم اجتماعياً، بقصد توجيه الأمة وإرشادها وإصلاح شؤونها.

### ثانياً: أنواع الخطب في نهج البلاغة

تنوعت خطب الإمام علي عليه السلام بحسب المقام والمناسبة، ويمكن تصنيفها إلى أنواع رئيسية:

#### 1- الخطب التوحيدية (الإلهية)

وهي الخطب التي تتحدث عن ذات الله تعالى وصفاته وعجائب خلقه، وتهدف إلى تعريف الناس بخالقهم وتعميق الإيمان في قلوبهم.

-منها: الخطبة الأولى التي يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وغيرها.

#### 2- الخطب السياسية

وقد كثرت في فترة خلافته عليه السلام بسبب الأحداث الجسام التي مرت به من حروب الجمل وصفين والنهروان، وفيها يبيّن موقفه من خصومه ويشرح حقانيته.

-منها: الخطبة (الشقشقية)، والخطبة (بعد انصرافه من صفين).

#### 3- الخطب الوعظية (التربوية)

وهي التي تهدف إلى تهذيب النفوس وتذكير الناس بالآخرة والزهد في الدنيا.

-منها: الخطبة التي القاها على همّام وقد ذكر فيها وصف المتقين.

#### 4- الخطب العسكرية (الجهادية)

وهي التي كان يلقيها عليه السلام في المعارك لاستنهاض الهمم وتحفيز الجنود على القتال.

-منها: خطبة (الجهاد) عند غارة الضحاك بن قيس.

## 5- الخطب الاجتماعية

وفيهما يوجه الناس في شؤون معاشهم ومعاملاتهم وحقوق بعضهم.

منها: الوصايا لأصحابه وولاته كوصيته لمالك الأشتر.

### ثالثاً: نماذج تطبيقية من خطب نهج البلاغة مع بيان مميزاتها

النموذج الأول: الخطبة الأولى (في التوحيد وخلق العالم).

نص المقطع:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ مَدْحَةُ الْقَائِلِينَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءُهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ...  
أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْجِيدهُ، وَكَمَالُ تَوْجِيدهِ  
الإِخْلَاصُ لَهُ... ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَسَكَتَكَ الْهَوَاءَ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً  
مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَآكِماً زَخَّارُهُ."

المميزات البلاغية والفنية:

- التدرج في المعنى الانتقال من الحمد إلى المعرفة بالتصديق فالتوحيد فالإخلاص في بناء هرمي متصاعد .
- السجع غير المتكلف "القائلين" مع "العادون"، و"المجتهدون" مع "المنتهون".
- التصوير البياني تصوير خلق الماء بقوله "مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَآكِماً زَخَّارُهُ".
- الإيجاز مع العمق اختصار معانٍ عقدية كبيرة في جمل قصيرة .

النموذج الثاني: الخطبة الشقشقية (سياسية).

نص المقطع:

" أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فَلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ  
وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثُوباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِئْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ  
جَدَاءٍ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ."

المميزات البلاغية والفنية:

- الصور الاستعارية "تَقَمَّصَهَا" استعارة لتولي الخلافة، "مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى" تشبيه لبيان مكانته.
- الطباق المعنوي المقابلة بين "أَنْ أَصُولَ" و"أَنْ أَصْبِرَ".
- الإيحاء بالكتمان استخدام "فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثُوباً" للإشارة إلى موقفه من البيعة.
- العاطفة الجياشة يظهر فيها تأثير الإمام (عليه السلام) بمقتضى الحال السياسي الصعب.

### النموذج الثالث: خطبة همام في صفات المتقين (وعظية)

نص المقطع:

" فَهُمْ فِي الْفَضَاءِ أَرْضَاءٌ، وَمِنَ الدُّنْيَا فِي عَزْلَاءٍ، مَعَهُمْ كِسَاءُ الضَّرَّاءِ، أَمَا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامًا، تَنْزِدُّ أَسْوَاتُهُمْ بِقِرَاءَةِ مِنَ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهُ تَرْتِيلًا، يُحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، وَيَسْتَنْتِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ...  
إِنْ ذُكِرُوا عَارُوا، وَإِنْ مِدِحُوا اسْتَحْيُوا."

المميزات البلاغية والفنية:

- الوصف الدقيق رسم صورة متكاملة للمتقين في الليل والنهار، في العبادة والسلوك.
- المقابلات الجميلة "صَافُونَ أَقْدَامًا" مقابل "حَيَامُهُمْ مُزْرَبَةٌ".
- الإيقاع الموسيقي السجع الهادئ المناسب للموضوع: "أَقْدَامًا" مع "قِيَامًا".
- التكرار الهادف تكرر حرف العطف لإطالة النفس مع طول الصفات.

### النموذج الرابع: خطبة الجهاد (عسكرية)

نص المقطع:

" أَيُّهَا النَّاسُ، الْجِهَادُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ الْبَوَارِ، وَسَبَبٌ الْمَغْفِرَةِ، وَبَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ تُفْتَحُ لِمَنْ فُتِحَ لَهُ بِهِ... إِنْ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ."

المميزات البلاغية والفنية:

- التعريفات المسوقة تعريف الجهاد بصفاته وأثره (جنة من النار، حصن، سبب المغفرة)
- التكرار للتأكيد تكرر كلمة "الجهاد" في بداية الفقرات لترسيخ المعنى.
- التصوير بالباب تشبيه الجهاد بالباب المفتوح إلى الجنة.
- الإقناع العاطفي تحفيز النفوس بذكر الجزاء الأخروي.

### النموذج الخامس: من كلماته الوعظية القصيرة

نص المقطع:

" فَلَنْتَكُنَ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُنَالَةِ الْقَرِظِ."

المميزات البلاغية:

- التشبيه الحسي تصغير الدنيا بحُنَالَةِ الْقَرِظِ (فتات قشور السنط) وهو أوضح أسلوب للتصغير.
- المبالغة في التقليل اختيار أصغر الأشياء في تصور العرب للتقليل.
- الإقناع النفسي إزالة هيبة الدنيا من النفوس بمثل هذا التشبيه.

## رابعاً: أبرز السمات العامة لخطب نهج البلاغة

بعد استعراض التعريف والأنواع والنماذج، يمكن إجمال أبرز السمات التي تميز خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة بما يلي:

- 1- الاقتباس القرآني: حيث تفيض خطبه بروح القرآن ومعانيه، وكأنها تفسير بلاغي لآياته.
- 2- تعدد المستويات: فهي تخاطب العامة والخاصة، والفيلسوف والبسيط، كل بحسب مداركه.
- 3- تناسب اللفظ مع المعنى: ففي مواطن الشدة يأتي اللفظ جزلاً قوياً، وفي مواطن الوعظ يأتي رقيقاً لطيفاً.
- 4- الصور البيانية المبتكرة: من استعارات وتشبيهات وكنائيات لم يسبق إليها.
- 5- مراعاة مقتضى الحال: فهو يراعي ظروف السامعين وأحوالهم الزمانية والمكانية.